

الطريق

إلى

البحر

مُفْتَاحٌ

الدكتور مصطفى محمود

الطريق إلى الكعبة

حقوق الطبع محفوظة
لدار العودة - بيروت
الطبعة الاولى ١٩٧١

دار العودة - بيروت

● الرسوم الداخلية : محمد حجي
● صمم الغلاف : الفنان بهجت

على جيبك عن فاته

الجمعة .. الشمس تنحدر الى المغيّب على جبل
عرفات .

الجبل مزروع بالخيام .. مليون وخمسمائة الف
حاج يحطون عليه كالحمام في ثياب الاحرام البيض .. لا
تعرف الواحد من الآخر .. لا تعرف من الفقير ومن
الفني .. ولا تعرف من التركي ومن العربي .

اختفت الجنسيات .. واختفت الازياء المميزة
واختفت اللغات .. الكل يلهج بلسان واحد .. حتى
الجاوي والصومالي والاندونيسي والزنجي والاذريجانني
الكل يتكلم العربية .. بعضهم ينطقها مكسرة وبعضهم
ينطقها بلكنة اجنبية ... وبعضهم يمد بعض الحروف
وياكل بعض الحروف ولكنك تستطيع ان تفهم من الجميع
وتستطيع ان تسمع انهم يهتفون .. لبيك اللهم لبيك .

والذين لا يعرفون العربية تراهم قد التفوا حول

مطوف يرددون وراءه الدعاء العربي حرفا حرفا في خشوع
وابتهال .

في البقعة التي كنت اقف فيها اكثر من خمس عشرة
جنسية مختلفة في مكان لا يزيد عن امتار معدودة ..
التركيستان والباكستان وكازخستان وغينيا وغانا ونيجيريا
وزنبار واوروغواي وكينيا والسودان والمغرب واليمن
والبرازيل واسبانيا والجزائر وسيلان .. كلهم حولي
يتصافحون ويتبادلون التحية ويهنئ بعضهم بعضا .
ولولا ان المطوف اخبرني بهذه الجنسيات لما عرفتھا .
فالكل كانوا يبدون لعيني وكأنهم عائلة واحدة في مجلس
عائلي حميم .

على بعد خطوات كان اكثر من ستين هنديا يلتفون
حول مطوف هندي هو الآخر فيما يبدو يقرأ لهم الدعاء
العربي من كتاب في يده .. وهم يرددون خلفه الدعاء وهم
يكون وقد تخضلت لحاهم الطويلة الكثة بالدموع .
وهم قطعاً لم يكونوا يعرفون العربية ، ولم يكونوا
يدركون معاني ما يرددون من حروف .. وانما شعروا بها
بقلوبهم فبكوا .

كان كل واحد يشعر انه يخاطب الله بهذه الحروف

وانه في حضرة الله وفي ضيافته وفي رحابه .. وانسه
يقف حيث كان يقف محمد عليه الصلاة والسلام .. النبي
العظيم البدوي الفقير الأمي .. وانه يسجد حيث كان
يسجد ويركع حيث كان يركع ويردد ما كان يردده من
دعاء .. بذات اللسان العربي .. وفي ذات اليوم .. يوم
الجمعة من ذي الحجة .. ولعل ذبذبات صوت النبي
وأصوات اصحابه ما زالت في الفضاء حوله .. فلا شيء
يفنى في الطبيعة ولا شيء يستحدث .

عرفت ان هؤلاء الستين هم من افقر طائفة هندية
وانهم جاءوا الى مكة على الاقدام وعلى سفن شراعية وعلى
جمال .

وكان زعيمهم يحمل علما عبارة عن خرقة ممزقة .
وبعضهم جاوز الثمانين .. وبعضهم كف بصره ..
وبعضهم كان يحمل بعضا .
وكان الكل يكون بحرقة ويدوبون خشوعا .
كانوا فقراء حقا .

وعلى بعد خطوات كان هناك هندي اخر قال لسي
المطوف انه مهراجا يملك عدة ملايين .. وكان بذات ملابس
الاحرام البيضاء .. وكان يبكي بذات الخشوع .. وكان

مشلولاً يحمله اتباعه على محفة .
 كان فقيراً هو الآخر حقاً .
 ومن منا ليس فقيراً الى الله .
 ان الملايين لا تعفي احداً من الشيخوخة والعمى
 والمرض والموت .
 ان السيد وخادمه يمرضان بالانفلونزا ويمران بنفس
 الاعراض .. بل نرى السيد يعاني دائماً اكثر من الخادم
 ويستنجد بعشرات الادوية والعقاقير ويجمع حوله الاطباء
 فلا يفعل له العلم ولا الطب شيئاً .. وكانوا يقولون لنا في
 كلية الطب على سبيل السخرية .. ان الانفلونزا تشفى
 في سبعة ايام بدون علاج .. وفي اسبوع اذا استخدمنا
 العلاج .
 والانفلونزا مرض بسيط .. تافه .. هي مثل من
 الف مثل لضعف الانسان وحاجته وفقره الحقيقي مهما
 كثرت في يده الاموال وتعددت الاسباب .
 من منا ليس فقيراً الى الله وهو يولد محمولاً ويذهب
 الى قبره محمولاً وبين الميلاد والموت يموت كل يوم بالحياة
 مرات ومرات .
 وأين الاباطرة والاكاسرة والقياسرة .

هم وامبراطورياتهم آثار .. حفائر .. خرائب تحت
 الرمال .
 الظالم والمظلوم كلاهما رقداً معا .
 والقاتل والقتيل لقياً معا نفس البصير .
 والمنتصر والمهزوم كلاهما توسداً التراب .
 انتهى الفرور .
 انتهت القوة .. كانت كذبة .
 ذهب الفنى .
 لم يكن غنى .. كان وهماً .
 العروش والتيجان والطيالس والخز والحريـر
 والديباج .. كل هذا كان ديكورا من ورق اللعب .. من
 الخيش المطلي والدمور المنقوش .
 لا احد قوي ولا احد غني .
 انما هي لحظات من القوة تعقبها لحظات من الضعف
 يتداولها الناس على اختلاف طبقاتهم .
 لا احد لم يعرف لحظة الدل ولحظة الضعف ولحظة
 الخوف ولحظة القلق .
 من لم يعرف ذل الفقر عرف ذل المرض او ذل الحب
 او تعاسة الوحدة او حزن الفقد او عار الفضيحة او هوان

الفشل او خوف الهزيمة .

بل ان خوف الموت ليخلق فوق رؤوسنا جميعا .

كلنا فقراء الى الله .. كلنا نعرف هذا .

وهم يعرفون هذا جيدا .. ويشعرون بهذا تماما ،

ولهذا يكون .. ويذوبون خشوعا ودموعا .

سألني صديقي وهو رجل كثير الشك :

— وما السر في ثياب الاحرام البيضاء وضرورة لبسها

على اللحم وتحريم لبس المخيط .. وما معنى رجم ابليس

والطواف حول الكعبة .. الا ترى معي انها بقايا وثنية .

قلت له : انت لا تكتفي بأن تحب حبيبك حبا عذريا

افلاطونيا وانما تريد ان تعبر عن حبك بالفعل .. بالقبلة

والعناق واللقاء .. هل انت وثني ؟

وبالمثل من يسعى الى الله بعقله وقلبه .. يقول له

الله ان هذا لا يكفي .. لا بد ان تسعى على قدميك .

والحج والطواف رمز لهذا السعي الذي يكتمل فيه

الحب شعورا وقولا وفعلًا .

وهنا معنى التوحيد .

ان تتوحد جسدا وروحا بافعالك وكلماتك .

ولهذا نركع ونسجد في الصلاة ولا نكتفي بخشوع

القلب .. فهذه الوحدة بين القلب والجسد يتجلى فيها

الايمان بأصدق مما يتجلى في رجل يكتفي بالتأمل .

اما ثياب الاحرام البيضاء فهي رمز الوحدة الكبرى

التي تذوب فيها الاجناس ويتساوى فيها الفقير والفني ..

المهراجا واتباعه .

ونحن نلبسها على اللحم .. كما حدث حينما

نزلنا الى العالم في لحظة الميلاد وكما سوف يحدث حينما

نفادره بالموت .. جئنا ملفوفين في لفافة بيضاء على اللحم

.. ونخرج من الدنيا بذات اللفة .

هي رمز للتجرد .. لان لحظة اللقاء بالله تحتاج الى

التجرد كل التجرد .

ولهذا قال الله لموسى :

« اخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى » .

هو التجرد المناسب لجلال الموقف .

وهذا هو الفرق بين لقاء لرئيس جمهورية .. ولقاء

مع الخالق .

فنحن نرتدي لباس التشريرة لنقابل رئيس

الجمهورية .

اما امام الله فنحن لا شيء .. لا نكاد نساوي شيئا .

وعلينا ان نخلع كل ثياب الفرور وكل الزينة .
قال صديقي في خبث : ورجم ابليس ؟
قلت :

— انت تضع باقة ورد على نصب تذكاري للجندي
المجهول وتلقي خطبة لتحيته .. هل انت وثنى ؟
لماذا تعتبرني وثنيا اذا رشقت النصب التذكاري
للشيطان بحجر ولعنته ... انها نفس الفكرة .
انها كلها رمزيات .

انت تعلم ان النصب التذكاري مجرد رمز وانه ليس
الجندي .
وانا اعلم ايضا ان هذا التمثال رمز وانه ليس
الشيطان .

وبالمثل السعي بين الصفا والمروة الى حيث نبعت
عين زمزم التي ارتوى منها اسماعيل وامه هاجر .. هي
احياء ذكرى عزيزة ويوم لا ينسى في حياة النبي والجد
اسماعيل وامه المصرية هاجر .

وجميع شعائر ديانتنا ليست طقوسا كهنوتية بالمعنى
المعروف ، وانما هي نوع من الافعال التكاملية التي يتكامل
بها الشعور والتي تسترد بها النفس الموزعة وحدثها ..

انها وسيلة لخلق انسان موحد .. قوله هو فعله .. فالكرم
لا معنى له اذا ظل تصريرا شفويا باللسان وانما لا بد ان
تمتد اليد الى الجيب ثم تنبسط في عطاء ليكون الكرم
كرما حقيقيا .. هل هذه الحركة وثنية او طقسا كهنوتيا .
وبهذا المعنى ، شعائر الاسلام ليست شعائر وانما
تعبيرات شديدة البساطة للاحاساس الديني .
ولهذا كان الاسلام هو الدين الوحيد الذي بلا طقوس
وبلا كهنوت وبلا كهنة .

الا تراهم امامك اكثر من مليون يكلمون الله مباشرة
بلا واسطة ويركعون على الارض العراء حيث لا محاريب
ولا مآذن ولا قباب ولا منابر ولا سجاجيد ولا سقوف
منقوشة بالذهب ولا جدران من المرمر والرخام .

لا شيء سوى العراء .
ونحن عراء .

ونفوسنا تعرت امام خالقها فهي عراء .
ونحن نبكي .. كلنا نبكي .

وسكت صديقي وارتفعت اصوات التلبية من مليون
وخمسمائة الف حنجرة .. لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا
شريك لك لبيك .

وكنتم اعلم ان صديقي ما زال بينه وبين الايمان الحقيقي اشواط ومراحل ومعراج من المعاناة .

ما زال عليه ان يصعد فوق خرائب هذا البناء المنطقي الذي اسمه العقل ويستشرف على ينابيع الحقيقة في تدفقها البكر داخل قلبه .. حينئذ سوف يكف عقله عن اللجاجة والتنطع ويلزم حدوده واختصاصه ويدرك ان الدين اكبر من مجرد قضية منطقية وانه هو في ذاته منطق كل شيء .. وان الله هو البرهان الذي نبرهن به على وجود الموجودات لانه قيومها (هو الذي اوجدها من العدم فهي موجودة به وبفضله) فهو برهان عليها اكثر مما هي برهان عليه .. وكيف يكون العدم برهاناً على الوجود .. وكيف يكون المعدوم شاهداً على موجد الوجود .

انها لاجابة العقل .. وهي سلسلة من الخرائب المنطقية لا بد ان نمر بها في معراجنا للوصول الى الحقيقة .. وهذا عيب العصر الذي يدعى فيه العقل كل شيء .

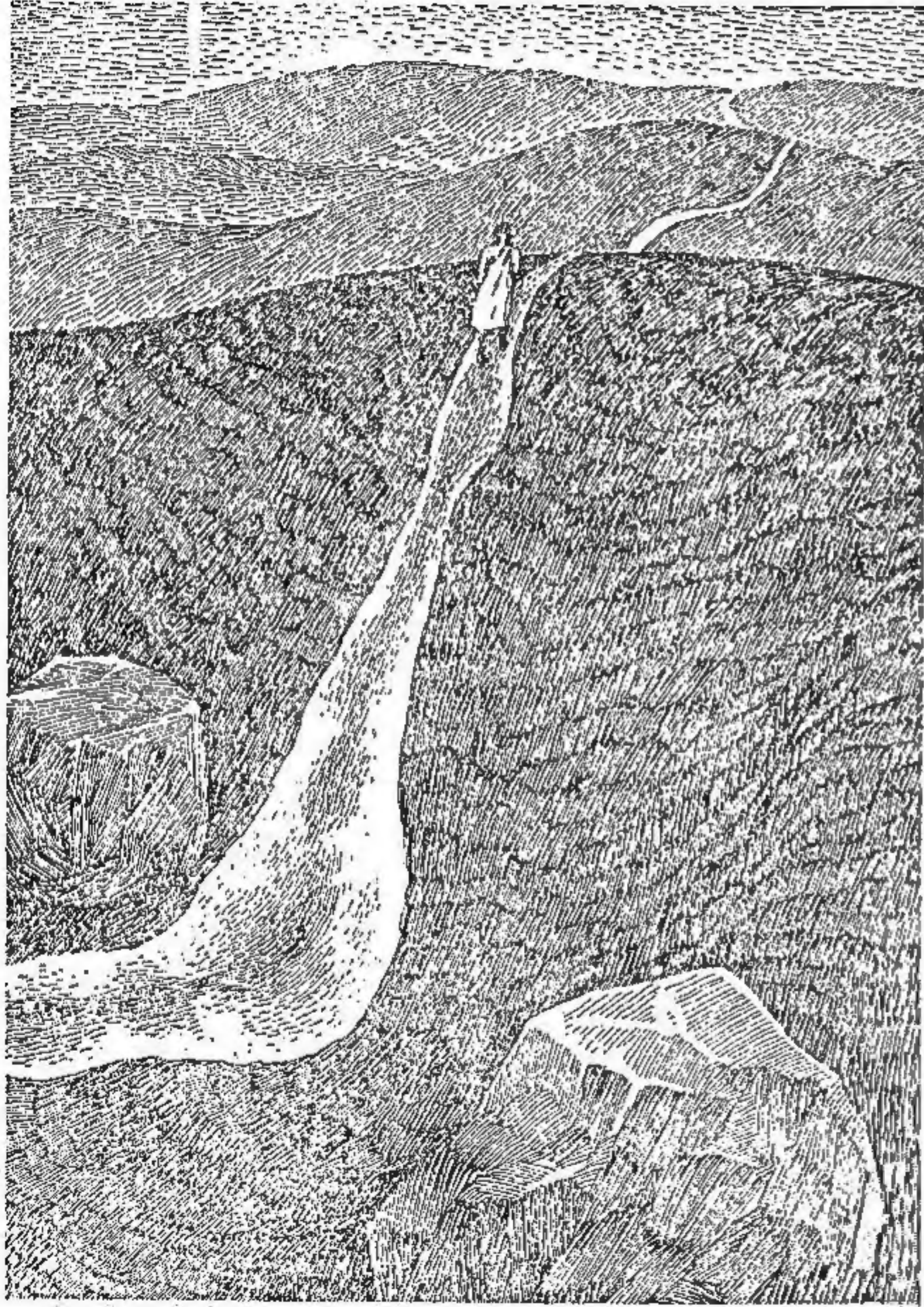
وعصرنا للأسف عصر العلوم الوضعية والمنطوق الوضعي .. هو عصر الالكترونيات والكهرباء والكيمياء والطبيعة .

والواحد منا في بداية تلقيه لهذه العلوم الوضعية ولفرط انبهاره بها وبمنجزاتها يتصور انها علوم كلية يمكن ان يناقش بها الامور الكلية مثل الوجود الالهي فيقع في خطأ من يحاول ان يقيس السماء بالشبر ويوزن الحب بالدرهم .

وتمضي عليه سنوات من التمزق والمعاناة قبل ان يكتشف ان الطبيعة والكيمياء علوم جزئية تبحث في المقادير والعلاقات واختصاصها هو القضايا الجزئية وهي لا تصلح بطبيعة معاييرها للحكم على الدين لانه قضية كلية . الدين هو العلم الكلي الذي يحتوي على كل تلك العلوم .. بينما لا يحتوي عليه اي منها .

وعندنا نور اخر نستدل به على الحقيقة الدينية هو نور القلب وهدى البصيرة واستدلال الفطرة والبداهة . هنا نور نستشف به الحقيقة بدون حيثيات . هنا منطقة في الادراك هيأها الله للادراك المباشر . وهي مرتبة اعلى من مراتب الشعور العادي .

وكما ان العقل اعلى في الرتبة من حاسة مثل الشم واللمس كذلك البصيرة اعلى في الرتبة من العقل ومن الإدراك بالمنطق العقلي الجدلي .



والبصيرة هبة متاحة لكل منا ولكن صدى العرف والتقليد والادعاء العقلي والاحكام الجاهزة الشائعة . هذا عدداً الفرور وظلمة الشهوات والرغبات وسعار الاحقاد والمطامع .. كل هذه الفواشي ترين على مرآة البصيرة فتحجب انوارها الكاشفة .

ويمضي العمر والانسان يصارع هذه الرغبات ويتمزق ويعاني ويسال ويتساءل ويحفر في داخل نفسه حتى تنهتك الاستار وتنجلي الفواشي ويبدأ يدرك الحقيقة بهذه الرؤية الكلية التي هي هبة بصيرته .

وهنا يبدأ يعرف ما هو الدين .
وقد يرى بالبصيرة من لا يحمل الشهادات .
وقد تعمى بصيرة المتعلم المؤهل في الجامعات .
وجلاء القلب فضل الهي قد يوهب وقد يكتسب، ولا توجد شروط في المعارف الالهية ، وهذا الهندي المسلم الفقير الحافني العاري الفارق في دموعه قد يعرف عن الله اكثر مما نعرف نحن الذين نكتب في الدين والله .

وربما لو سألته عن شعوره لما استطاع ان يشرحه في عبارات مثل العبارات المنمقة التي نكتبها .. وهو امر لا يهم .. فالمعارف العالية قد تعلو على العبارة وقد تعجز

عنها الإشارة .. فلا يبقى الا الصمت والدموع .
ولهذا هم يكون على عرفات في لحظة لقاء مسع
النفس والله .. تبدو فيها الكلمات مبتدلة .. واللسان
عاطلا ، والعبارات خرساء ، فلا تبقى الا الدموع وهي
دموع فرح وحزن وندم وتوبة وتطهر وميلاد .
وهي فجر روحي يعرفه من جربه .

وقد توحى اللحظة الواحدة والظرف الواحد بشيئين
مختلفين تماما وربما متناقضين . فحينما كنا نطوف بالكعبة
في زحام من الوف مؤلفة كان صديقي يلهث مختنقا وكل
ما يخطر له بالمناسبة هو تخيله لو كانت هذه الكعبة في
اوروبا في برلين مثلا اذن لاختلف الامر ولطاف حولها
الاوروبيون في طوابير منظمة لا يزحم فيهم الواحد الاخر ..
بينما كنت انا انظر الى الالوف المؤلفة التي تدور كالذرات
البيضاء وأرى فيهم الملايين بلا هوية ممن حجوا وطافوا
وعاشوا وماتوا .. ارى فيهم ابي وامي .. كانوا هنا
يطوفون منذ سنوات في هذا الزحام نفسه .. ومن قبلهم
جدي الذي جاء الى هنا على ظهور الابل .. ثم الاجداد ..
واجداد الاجداد من قبل الى ايام النبي الذي خرج من مكة
مهاجرا وعاد اليها فاتحا .. كنت انظر في الجموع الحاشدة

من منظور تاريخي وفي خناق الزحام نسيت نفسي تماما وفقدت هويتي ولم اعد اعرف من انا .. هأنذا قدمت انا الاخر .. وهذا ابني يطوف ويذكرني وهو يطوف ثم يموت ذات يوم ويصبح هو الاخر ذكرى . كانت لحظة روحية شديدة التوهج فقدت فيها احساسى بذاتي تماما وغبت عن نفسي وامتلأت ادراكا بأنه لا احد موجود حقا سوى الله .. وتذكرت السطر الاول من قصة الخلق .

في البدء كان الله ولا شيء معه .

وفي الختام يكون الله ولا شيء بعده .

هو الاول والاخر .

هو ..

نعم هو ولا سواه .

كانت لحظة من المحو الكامل لكل شيء بما في ذلك نفسي ذاتها في مقابل ملء مطلق وملء مطلق لموجود واحد مطلق هو الله .

وبالرغم من الاحساس بالغياب الا انه كان احساسا في ذات الوقت بالحضور .. الحضور الشامل المهيمن المالىء لكل ذرة من الشعور .. حضور ماذا ..؟

وأحار في وصف تلك اللحظة ولا اجد اللفاظ ولا

العبارات واكتفى بأنها اعماق ما عشت من لحظات . انها اشبه بعدة ستائر تفتح متتالية بعضها من وراء البعض .. تفتح ستارة لتكشف عن مسرح صغير هو الواقع الفردي بتفاصيله ثم تفتح ستارة في العمق لتكشف عن واقع آخر خلفي كبير هو الواقع التاريخي يبتلع الواقع الاول بما فيه ثم تفتح ستارة ثالثة في العمق البعيد تكشف عن حقيقة الحقائق التي يبهت امامها كل شيء .

هو احساس ديني يصعب تصويره في كلمات .

هو اشبه بموقف مقاتل على الجبهة .

انه في تلك اللحظة ينسى همومه الصغيرة .

هموم وطنه تبتلع همومه .

وجراح وطنه تبتلع جراحه فينسى مشكلات بيتيه

الصغير ويذوب في مشكلات مجتمعه الكبير .

هناك حضور اكبر ابتلع الحضور الاصغر .

وبالمثل لحظة الوقوف في حضرة الله .

هنا الحضرة العظمى .. حضرة الحق .

وهي حضرة هائلة تذوب امامها الحواس تماما .

يفنى الواقع الصغير .. واقع النفس ومشكلاتها

اليومية .. ثم الواقع الزمني المحيط بتفاصيله .. ثم

الواقع التاريخي كله .
ثم يكون فناء النفس ذاتها في لحظة احتواء كامل من
ذات عظمى مهيمنة .
هي لحظة صوفية نعرفها في الحب .. ويرونها لنا
المحبون .
والحب البشري لا شيء بالنسبة للحب الالهي .
وجمال امرأة لا شيء بالنسبة للجمال المطلق الكلي .
اين كان صديقي من هذا كله .
ما ابعد كلامنا عن الاخر مع ان ذراعي في ذراعه .
كان يفكر ويمنطق ويرتب الحيشيات .
وكنت اذوب حبا وقد قفزت بي اللحظة فوق حاجز
العقل وجاوزت بي الحدود والتفاصيل لتضعني على ذروة
ارى منها رؤية كلية . وادرك منها ادراكا كليا .
هو الحب .
والدين في جوهره حب .
والطواف للعشاق .
هؤلاء لا يجدون فيه كلفة ولا تكليفا .
وانما يجدون حوارا مؤنسا .. ومكاملة من تلك
المكالمات السرية التي تضيء مجاهيل القلب .
وما اكثر ما شعرت به في الكعبة مما لا اجد له
كلمات .

الطريق نزولا من عرفة كيوم الحشر ... خمسون
الف عربية أتوبيس في كل منها وعلى سطحها وأبوابها مائة
راكب مكندسون معلقون بالابواب والنوافذ .. وهذه
الخمسون الف عربية تنطلق نازلة من عرفة الى مزدلفة في
لحظة واحدة وتخوض طوفانا من مليون حاج يقطعون
الطريق على الاقدام .

هذا المد البشري الذي يسمونه «النفرة» يتم فسي
هدوء ودون حادث واحد ودون مشاجرة . وهو امر لا تفسر
له الا ان المشاعر الدينية الفياضة تضع الناس في حالة
لياقة نفسية تامة سائقين وركابا ومشاة .. الكل ترفعهم
مشاعرهم الدينية الى اقصى درجة من المسؤولية والصبر
والتحمل والتراحم والتعاون والمحبة فيحققون هذه المعجزة
المرورية دون حادث واحد .. وهو مثل لما يمكن ان يفعله
الشعور الديني بالنفس الانسانية وبالمجتمعات .. ولولا

هذا الشعور الديني المهيمن لكان يمكن ان تكون هذه «النفرة» مجزرة ومذبحة بشرية تتلاحم فيها الاذرع في الف مشاجرة ومشاجرة وتدوس العربات الناس ويحطم الناس العربات وتحطم العربات بعضها البعض .. ولكن شيئا من هذا لا يحدث .. لا تصاب عربة واحدة بخدش .. وهو اعجاز مفتلحه في النفس البشرية وما يحدث فيها .. وليس في الآلة الصماء .

ومن جبل عرفه الى مزدلفة حيث يصلي الناس العشاء مكان صلاة النبي في المشعر الحرام ثم ينزلون الى منى لرمي الجمرات ثم يختتمون مراسم الحج بطواف الكعبة .

ولم يكن يشغلني بعد ختام الحج سوى شيء واحد هو زيارة قبر الرسول .. ذلك الرجل الأمي الشريف البسيط الصادق الأمين الذي قال لنا الله انه يصلي عليه وينزل عليه الرحمات هو وملائكته «ان الله وملائكته يصلون على النبي» ... وأمر كل مؤمن بالصلاة عليه .. «يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما» .

كنت اريد ان اقف بقبر ذلك الذي يصلي عليه الله . والحق ان صورة النبي لم تبرح خاطري منذ وضعت

قدمي في مكة .. كنت احاول ان ارسم له صورة في خيالي .. ان اتخيل ابتسامته وخطوته ونبرة صوته .

ذلك الأمين الذي بلغ الرسالة في وقت لم يكن فيه من سبل الاتصال سوى الابل والعرير . ومع ذلك اوصل رسالته الى سمع جميع الامم من جميع الاجناس واللهجات . حملتها القلوب . وافتدتها الانفس .. وتسابق اليها الشهداء - ودافعت عنها السيوف حتى ابلغتها الى اركان الارض الاربعة . وكأنما كانت انفاسه مهاب الرياح .

وطول الطريق من مكة الى المدينة كنت غارقا في تأمل متصل . والطريق من مكة الى المدينة يخترق سلسلة من الجبال بعضها جبال كالحة ترابية وبعضها جبال صخرية تلمع فيها عروق المرمر والرخام الازرق والاسود والوردي المتعدد الدرجات والالوان .. وبعضها تكسوه غبرة حديدية حمراء تدل على تربة معدنية غنية .

والمسافر يمر على معالم تاريخية شقت لها مكانا في قلوب الناس وحفرت اسماءها في قصة ظهور الاسلام التي تعددت فصولا .

هذه قرية بدر حيث واقعة بدر الشهيرة .. نمر عليها بعد خمس ساعات من السفر .. والى جوارها مقبرة

القليب حيث دفنت قريش المهزومة قتلاها .
وهنا مكان العريش الذي بناه المسلمون للنبي ليقود
منه المعركة .

ثلاثمائة من المسلمين يحاربون الفا . والحديد يقرع
الحديد . والنبي قد اخذه الخوف من المصير فراح يصلي
ويبتهل ووقف في العريش رافعا يديه يهتف الى ربه .
«اللهم فنصرك الذي وعدتني .. اللهم ان تهلك هذه
العصابة اليوم لا تعبد .. اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم
لا تعبد » .

وما زال يهتف بربه حتى سقط رداؤه . واخذته
خفقة من نعاس فرأى النصر في رؤيا صادقة .. فخرج
يبشر المقاتلين ويتوسط الجيش هاتفا .. شدوا ..
شدوا .

ويحتفن من الحصى والتراب ويذروه على قريش
هاتفا .. شاهت الوجوه .. وبلال يشق جيش الكفار
كالسهم وهو يصيح .. هذا امية بن خلف رأس الكفر ..
لا نجوت ان نجا .. ثم يقطع رأسه .. وهذا معاذ بن
الجموح يقتلع رأس ابي جهل . وهذا حمزة يتبخر بسيفه
وسط الفبار ومن حوله تسقط الاشلاء . ويسقط شعبة

وعتبة ابنا ربيعة والاسود بن عبد الاسد المخزومي .
وتفر قريش بخيلها وخيلاتها طالبة النجاة .
وهذا محمد يمر على قتلى القليب ويناديهم :
«يا اهل القليب .. يا عتبة بن ربيعة .. يا شعبة بن
ربيعة .. يا امية بن خلف .. يا ابا جهل بن هشام .. هل
وجدتم ما وعدكم ربكم حقا .. فاني وجدت ما وعدني ربي
حقا » .

ويقول المسلمون لنبيهم :
«يا رسول الله اتنادي قوما جيفوا» .
فيقول عليه السلام :

«ما انتم بأسمع لما اقول منهم» .

وفي مكة تقوم مناحة وتصيب ابا لهب الحمى من
الفم ويموت بعد اسبوع .. وتجز هند شعرها على عتبة
وتصرخ : الدهن علي حرام .. فراش زوجي علي حرام
حتى اثار من محمد واصحابه ..

وتمضي تحرض الناس على الحرب .
هذه بدر العظيمة .. وهذه شعابها .. وبطاحها
ورمالها وترابها .

وندخل المدينة فنمر بجبل احد .

هنا بقعة أخرى لها تاريخ .

هذا التل الصغير هو «جبل الرماة» حيث أوصى النبي الرماة أن يرابطوا لحماية ظهر الجيش المهاجم . . ولا يفارقوا نبالهم ولا أقواسهم ولو رأوا الجيش يهلك . وهنا كانت رحى الحرب تدور بين سبعمائة من المسلمين وثلاثة آلاف من قريش .

ولم يكن النبي يريد الخروج في تلك الغزوة . . ولكنه نزل على رأي الأغلبية التي رأت الخروج تثبيتاً لقانون الشورى الذي اختطه .

وهنا كان جيش قريش . .

على الميمنة القائد الفحل خالد بن الوليد (ولم يكن قد أسلم بعد) وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل . وهنا تحت أقدامنا كان الدم يسيل . وكانت هند تمشي صارخة بين جنود الكفار تشجعهم على الأخذ بثأر بدر .

ويها بني عبد الدار

ويها حماة الأدبار

ضربا بكل بتار

وهذا أبو دجانه يضع عصاة الموت الحمراء على

جبينه ويخوض بحر القتال اللجب .

وهذا حمزة البطل يصيح أمت . . أمت . . ويضرب بسيفه باليمين والشمال .

وهذا طلحة بن أبي طلحة حامل لواء أهل مكة من المشركين . . يصيح : من يبارز . . فيبرز له علي بن أبي طالب فيضربه ضربة واحدة تفلق هامته . . وهذه الدائرة تدور على قريش . . فيتراجعون تاركين أكداً من الفنائم . . وينسى الرماة المسلمون في المؤخرة نصيحة النبي فيتركون أماكنهم ويتسارعون ليهتبلوا الفنائم . . وهكذا ينكشف ظهر المسلمين ويجد خالد بن الوليد فرصته فيكر عليهم .

ويفاجأ المسلمون بالضرب من أمام ومن خلف ويتشتت شملهم ويتبعثر نظامهم وتعم فيهم الفوضى فيصير المسلم يقتل المسلم ويصاب النبي فتكسر رباعيته وتجرح شفتاه وتشج رأسه وتدخل حلقتان من المففر الذي يستر به وجهه في خده .

ويقع البطل حمزة قتيلاً بطعنة من العبد «وحشي» .

ونترك «وحشي» ليصف هذه القتلة الفادرة .

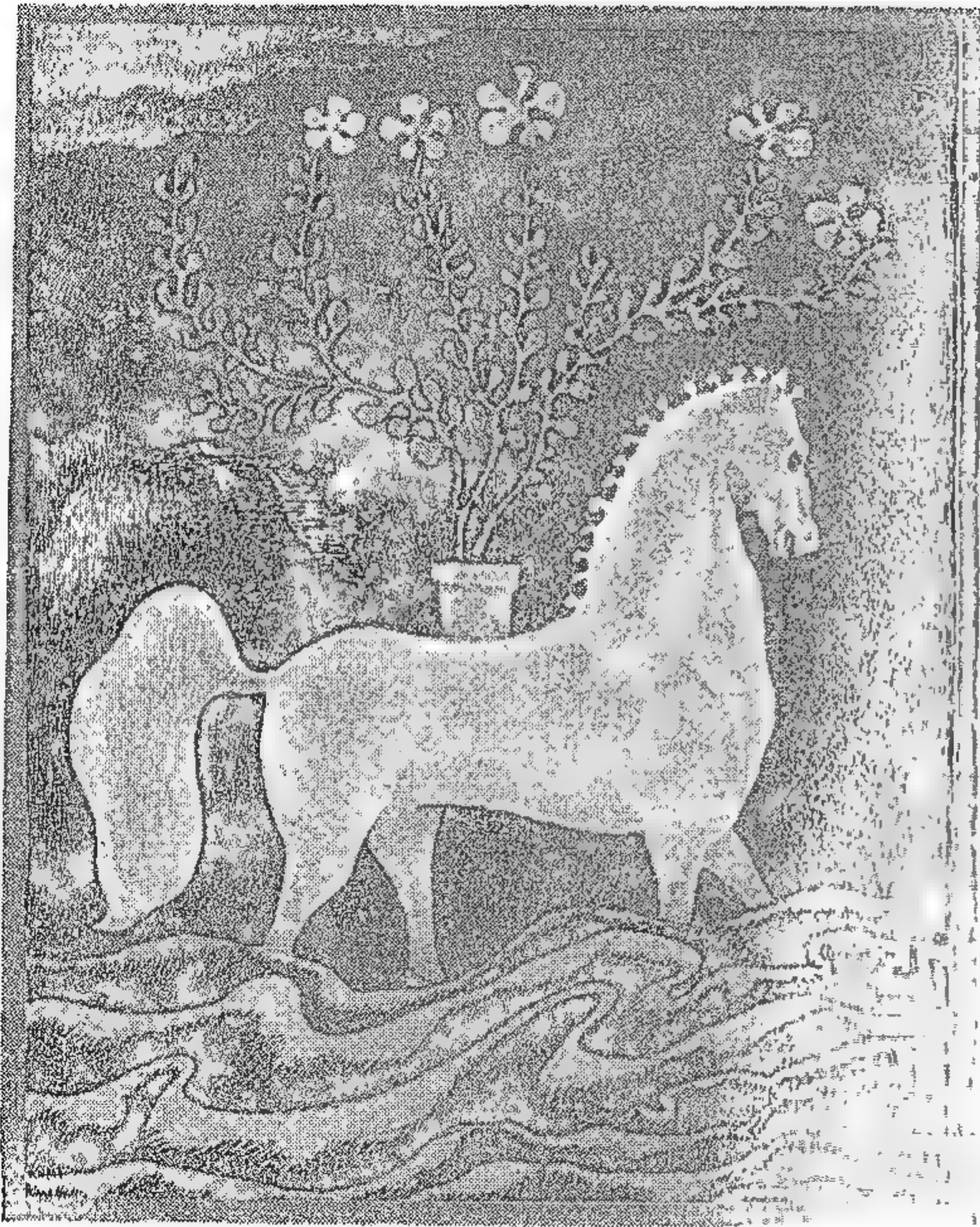
«كنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة

قلما اخطىء بها شيئا .. فلما التقى الناس خرجت انظر حمزة وأتبصره حتى رايتَه وسط المقاتلين مثل الجمل الاورق .. فهزئت حربتي حتى اذا رضيت عنها قدفتها عليه فوقع في بطنه حتى خرجت من بين رجليه .. وتركتَه واياها حتى مات ثم اتيتُه فأخذت حربتي ورجعت الى المعسكر وقعدت فيه فلم يكن لي بغير حمزة حاجة .. انما قتلتَه لاعتق .

وكانت هند قد وعدته المكافأة ان هو قتل حمزة .. كما وعده سيده جبير بن مطعم ان يعتقه اذا هو قتل حمزه . ويبلغ من فرحة هند بقتل حمزة ان تبقر بطنه وتخرج كبده فتمضغه .

ويقف النبي على جثة عمه وقد مثل به وبقرت بطنه فيقول في حزن كظيم :
«لن أصاب بمثلك ابدا ... ما وقفت موقفا قسط اغيظ لي من هذا» .

ثم يسجى حمزة ببرده ويصلى عليه . وما زال حمزة حيث دفنه الرسول في العراء الى جوار جبل احد وقد علم مكان الدفن ببضع حصوات . ان كل شيء في مكانه يحكي القصة .



وتكاد تسمع صلصلة السيوف وحشرجات
المحتضرين .

وجميع من سقط من القتلى من الجانبين معروف
بالاسم والنسب والقبيلة.. لم يمض الزمن شيئاً. ونتجاوز
جبل أحد لنصعد على اكمة حيث عدة تعاريش كان يصلي
فيها ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وتعرف الان بمساجد
الصحابة . ثم ننزل الوادي الى حيث مسجد قباء اول
مسجد بني في الاسلام ثم نبلغ قلب المدينة حيث قبر
الرسول وحيث يسجد الجسد الطاهر في نفس البقعة
التي مات فيها في بيته وغرفته . والى جواره ابو بكر
وعمر .

هذا اذن محمد .

ونحن في غرفته .

ومن هذا الباب كان يأتيه جبريل .

وفي هذا المحراب كان يصلي .

وعلى هذه البقعة كان يسجد .

وخلته يقف امامي وراحت مخيلتي ترسم له صورة
من الاوصاف التي وصلتنا عنه في كتب السيرة والتي
وصفه بها اصحابه .

وسطا في الطول .. ربعة .. ضخيم الرأس ..
مبسوط الجبين .. واسع العينين طويل الاهداب طويل
العنق .. عريض الصدر .. ازهر اللون .. مستوى
الانف دقيقة .. مفلج الاسنان كث اللحية ذا شعر ناعم
شديد السواد .. كبير الكفين والقدمين .. اذا سار القى
جسده الى الامام في خطو ثابت وقد سرحت عيناه فسي
تأمل بعيد .

هذا هو محمد البسيط المتواضع ؛
ورأيته في بيته يغسل ثوبه ويرقع بردته ويحلب
شاته ويخصف نعله .

ورأيته يأكل مع الخادم ويعود المريض ويعطي المحتاج .
ورأيته وهو يصلي وحفدته يتسلقون ظهره وهو
ساجد فيتركهم حتى اذا وقف حملهم واستمر في صلاته .
كان الحنان والحب مجسدا .

احب الانسان والحيوان . حتى النبات حنا عليه
فكان يوصي بالشجر الا يقطع .

حتى الجماد شمله بالحب فكان يقول عن جبل أحد .
« هذا الجبل يحبنا ونحبه » .

حتى تراب الارض كان يمسح به وجهه متوضعا في

خب وهو يقول « تمسخوا بالارض فانها بكم برة » .
هذا هو العظيم الذي كان يكره التعظيم وكان يقول
لاصحابه حينما يقفون له : « لا تقوموا لي كما تقوم الاعاجم
يعظمون ملوكهم » .

وكان الكريم الذي وصفه اصحابه بأنه ينفق في
سخاء من لا يخشى الفقر ابدا .

لم يحدث ان ادخر درهما .
وقد مات كما هو معلوم ودرعه مرهونة عند يهودي .

وعاش لم يشبع قط .. ولم يذق خبز الشعير يومين
متتاليين .. ومع ذلك لم يكن يرفض الهدية تأتيه بالشهي
من المأكول والناعم من الملبس ولكنه كان يرفض ان يسعى
الى هذا العيش اللين او يفكر فيه او ينشغل به .. ولهذا
كان يربي نفسه ويروضها على الفقر والجوع والقصد في
المطالب والرغبات ليكون المثل والقدوة لما اراده الاسلام ..
دين الاعتدال والتوسط .. فلا رهبانية وقتل للنفس ..
ولا تهالك واطلاق للشهوات .. وانما توسط واعتدال ..
وبذلك ينجو الانسان من سيطرة نفسه ومن سيطرة
الآخرين .. فلا تعود لاحد سيادة عليه .. وهذه هي
الحرية .. ان يحرر نفسه من جميع المطالب فلا يعود

يسمح لشهوته ان تذله لمطعم او ملبس او مخلوق .
هذا الوسط .

هذا الصراط المستقيم الدقيق ادق من الشعرة بين
الافراط والتفريط هو ما انفردت به الشريعة الاسلامية .
وهو ما حققه النبي بسلوكه النادر .
وكان يلخص سنته فيقول :

المعرفة رأس مالي والعقل اصل ديني والحب مذهبي
والشوق مركبي وذكر الله انيسي والحزن زفيقي والصبر
ردائي والصدق شفيعي والعلم سلاحي والجهاد خلقي وقرّة
عيني في الصلاة .

هذا هو محمد الذي كان خلقه القرآن .

ويطيف بخيالي ذكرى يوم موته .. وقد رقد مريضا
بالحمى يلتمس الماء ليبلل به جبينه الملهب .
ثم وهو يطلب من زوجاته ان يصبين عليه مياه سبع
قرب من سبعة آبار لعلها تطفئ نيران جسمه المتقند
فيستطيع الخروج الى المسجد .

ثم وهو يخرج الى المسجد متوكئا على ذراع علي
بن ابي طالب وعمه العباس ليصلي الى يمين ابي بكر . وقد
عقد الامامة لابي بكر .. حتى اذا فرغ من الصلاة التفت

يقول لمن حوله :

«ايها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري
فليستقد مني .. ومن كان له عندي درهم فهذا مالي
فليأخذ حقه مني » .

وكان بيته سبعة دنائير فأمر بانفاقها صدقات .
ثم قال :

«ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا والآخرة
وبين ما عنده فاختر ما عند الله» .

وفهم ابو بكر ان عبد الله المقصود هو محمد نفسه
وان الله خيره بين الخلود في الدنيا الى يوم القيامة ثم
الفوز بالجنة وبين ان يفوز بجواره .. وانه قد اختار الله
وجواره . وانه الموت . فبكى ابو بكر .
والرسول يقول :

«ايها الناس .. سعرت النار .. واقبلت الفتن كقطع
الليل المظلم» .

يصف بذلك ما ينتظر الاسلام من بعده .

ثم عاوده الضعف الشديد والهبته الحمى .

ثم تراه في لحظاته الاخيرة وقد وضع رأسه فسي
حجر عائشة وهو يغمغم .. اللهم أعني على سكرات الموت .

وتروي عائشة آخر فصل في حياته :
وجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل في
حجري فذهبت أنظر في وجهه فإذا بصره قد شخّص
وهو يقول :

«بل الرفيق الأعلى من الجنة» .
لقد اختار الرفقة مع الله على حياة مخلدة في الدنيا
وجنة .

ومات محمد ..
وقام على غسله علي بن أبي طالب وعمه العباس
ودفناه حيث مات في غرفته .
وظلت عائشة تبكي الغرفة بجواره .
وكانت تزور قبره سافرة حتى دفن معه عمـر
فأصبحت تزوره محجبة في كامل ثيابها .
هذا أذن محمد ...

وهذا ترابه .
وهذا تراب أصحابه ...
وهذا بيته ...
وهذه سيرته التي احتدمت دما وعظرا وفداء ونقاء
وطيبة وبساطة .

سلام على محمد .
سلام على سيد البشر يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث
حيا ...
«يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما» .

الهجرة الى بيت الله

قد يسأل سائل : لماذا نتكبد المشاق لنذهب الى الله
في رحلة الحج .. ولماذا هذه الهجرة المضنية .. والله
معنا في كل مكان .. بل هو اقرب الينا من جبل الوريد ..
وهو القائل انه «قريب مجيب الدعوات» .. بل ان قربه
لنا هو منتهى القرب .. فما الداعي الى سفر وارتحال
لنقف فوق عرقه ندعوه منها .. وهو القريب منا قرب الدم
من اجسادنا .

والسؤال وجيه :

والحقيقة ان الله قريب منا بالفعل واقرب الينا من
الدم في اجسادنا ولكننا مشغولون على الدوام بغيره .
انه لا يقيم دوننا الحجب ولكننا نحن الذين نقيم هذه
الحجب .. نفوسنا بشواغلها وهمومها وأهوائها تلفنا في
غلالات مكثفة من الرغبات .. وعقولنا تضرب حولنا نطاقا
من الغرور .. وكبرياؤنا يضيي بنا بنوع من قصر النظر ثم

العمى .. فلا نعود نرى او نحس بشيء سوى نفوسنا ..
وهذا هو البعد رغم القرب ..

والهجرة على القدمين وتكبد المشقات والنفقات هي
وسيلة مادية للخلوص من هذه الشواغل وتفريغ القلب
لذكر خالقه ولايقاظ الحواس على حقيقة هذا القرب
القريب لله .

ومن هنا كانت كلمة «عرفه» .. فبعد رحلة من
الوف الاميال يتيقظ القلب على «معرفة» .. فهو
«يتعرف» على ربه ويكتشف قربه «ويتعرف» على نفسه
ويكتشف بعدها ..

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام في هذا اليوم :
«نعم اليوم يوم عرفه لان اهل الارض يعرفهم اهل
السماء» هي اذن معرفة شاملة من كل الوجوه .
وحينما يفد الحاج بجسده الى البيت يكون عقله قد
اشرق على معرفة .. واذا عرف الانسان ربه حق المعرفة
فانه سوف يدع الخلاف معه سوف يدع الذنوب ظاهره
وباطنه وسوف يكف عن منازعته في امر قدره وقضائه
لانه اكتشف كامل عدله وحكمته ..

وسوف يدع الخلاف بينه وبين الخلق فيكف عنهم

اذاه ويحتمل اذاهم ويترفق بهم ويشفق عليهم .
وسوف يدع الخلاف بينه وبين نفسه ويصل الى
حالة من الوحدة فيقول ما يظن ويفعل ما يقول فيصبح
ظاهره باطنه وقوله فعله .

وهذا هو الانسجام مع النفس والكون والله ..
وانعقاد الصلة بين الروح وخالقها .

وبلوغ السكينة التي لا تزلزلها الجبال .
والسعادة الروحية بالقرب .

يصف لنا معروف الكرخي رجلا بلغ هذه الحال
فيقول :

رأيت رجلا بالبادية يمشي بلا زاد .. فقلت له ..
الى اين تريد .. قال لا ادري .. قلت هل رأيت رجلا يريد
مكانا لا يدريه .. قال انا هو .. قلت فأين تنوي .. قال
مكة .. قلت تنوي مكة ولا تدري اين تذهب .. قال نعم
وذلك لانني كم مرة اردت ان اذهب الى مكة فيردني الى
طرسوس وكم مرة اردت طرسوس فيردني الى مكة ..
قلت من اين المعاش .. قال من حيث يريد .. يجوعني
مرة والطعام حاضر ويشبعني مرة والطعام غائب .
وحال صاحبنا هو حال من انعقدت صلته بالله ..

فهو لا يعرف لنفسه ارادة الا ما يريد به خالقه ولا يتزود الا بالتقوى وليفعل به الله ما يشاء .. فهو قد علم انه لا عبرة بالطعام .. فقد يوجد الطعام بوفرة ويوجد معه المرض الذي يصد عنه .. وقد يوجد الكفاف ويوجد الشبع .. وقد يوجد الصوم ومعه الاكتفاء المشبع بصحبة الخالق والائتناس به .

ولا يفهم من هذا تواكل .. لان الرجل يصف ما بينه وبين الله وليس ما بينه وبين الناس .. ولو انه وجد بين الناس شرا لقومه بالسيف .. فهذا الرجل نفسه هو المقاتل ابو ذر وامثاله .. وهو نفسه الذي يثور على الحاكم الظالم .. فالامثال لله شيء غير الامثال لعباد الله بل هو عكسه ونقيضه فخدام الله هو اول من يثور على عباد الله دون خوف ..

والخائف من الله لا تساوي عنده الدنيا شيئا فهو اول من يضحي بها وبنفسه تحت ظلال السيوف فسي سبيل كلمة حق .. لان الله عنده هو الحق .. وعشيق الله هو الموت في سبيله .

وهذا هو توكل الاسلام وهو غير تواكل الكسالى الشحاذين من مفترشي الارصفة .. وهؤلاء ليسوا مسلمين

اصلا .

وليس كل من يتمم :

«قل هو الله احد» بمسلم موحد .

والمهم ماذا تقول اعماله ..

اذا كان يعتقد حقا ان الله احد لا سواه هو الضار النافع فلماذا يمد اليد الى غيره ولماذا يتزلف ولماذا يتملق .. ولماذا يكس المال والعقار وهو يعلم ان الله هو المالك الوحيد للارض وما عليها وهو الوارث لكل .. ولماذا يكذب والله سميع ولماذا يسرق والله بصير ولماذا ينافق والله حسيب ولماذا يخون والله رقيب ولماذا يهرب والله شهيد ..

والتوحيد اعمال وليس تمتمة وحممة .

والشكر اعمال وليس «الحمد لله» على اللسان ..

يقول الله لآل داود ..

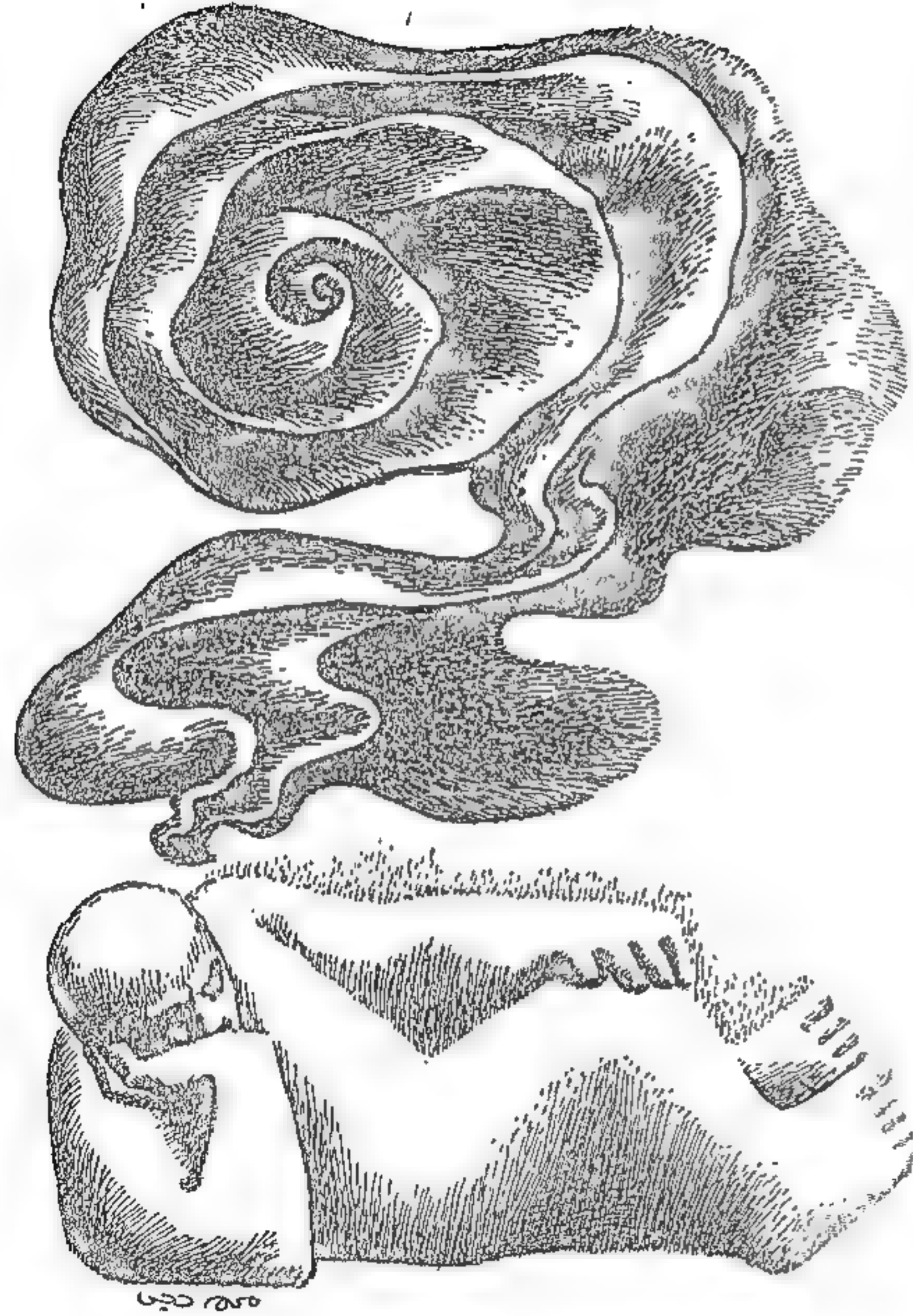
«اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور»

لان المقصود بالشكر الاعمال الدالة على الشكر وليس

التمتمة .. اعملوا آل داود شكرا .. اعملوا ..

والقرآن سياق متصل مستمر .. لكلمة اعملوا ..

يبدأ بكلمة «اقرا» للعلم ..



وبعد العلم يكون العمل على مقتضى التوحيد .
وهذا هو الدين ..
قل : لا اله الا الله واستقم على معناها .
وهذه هي رحلة الهجرة الى الله .. والحج والصلاة
والصيام صورتها البدنية .
والحج في معناه خروج .
خروج من اسمائنا الى اسماء الله .
وخروج من اعتدادنا بانفسنا الى الاعتداد به .
وخروج من العبودية للأسباب (المال والولد والارض
والعقار والمنصب والسلطة والنفوذ والجاه) الى عبودية له
وحده باعتباره سبب الاسباب .
وخروج من حولنا وقوتنا الى حوله وقوته .
وخروج من ازادتنا الى ارادته ومن رغبتنا الى رغبته
يقول نبينا محمد عليه الصلاة والسلام :
اللهم بك انتشرت وبك آمنت وبك اعتصمت . اللهم
بك اصول وبك اجول .
اللهم بك اصبحت وبك امسيت ولا فخر لي .
ويقول عن الحج :
«من خرج يريد الطواف خاض في الرحمة» .

وتفسير الرحمة ان الله يجذب همه عبده اليه
ويعصمها من التفرقة .
ويقول عن الركوب للسفر :

« فاذا ركب الحاج الراحلة في الظاهر يشهد في
السر ان الله هو الذي يحمله » وهي ذروة في التوحيد ،
فهو لا يعود يرى الناقة او القطار او الطائرة وانما الله هو
الذي يحمل المسافر على اسبابه وقوانينه . . تختفي
الاسباب ليظهر المسبب ويختفي الخلق ليظهر الخالق .

وهكذا تكون كل خطوة بالقدم ترافقها خطوة بالقلب
الى مزيد من التوحيد . . ويكون مع طي الابعاد طي داخلي
للصفات فيقترب العبد بصفاته من صفات ربه فيكون
الرحيم الكريم الحليم الودود الرؤوف الصبور الشكور ما
استطاع . . وهو صعود ومعراج لا نهاية له . . لان كمال
الله لا نهاية له .

وهكذا يقطع المهاجر الى الله مرحلة بعد مرحلة حتى
يصل الى الميقات فيفنى عن نفسه ويموت عن صفاته
ويصبح حاله في الظاهر والباطن حال من يحيا بالله
وحيث يحق عليه الفسل ولبس ثوب الاحرام على العري
فهذا هو ثوب الميت المولود . . وهو ثوب من قطعتين رمزا

لستر العورة الظاهرة وستر العورة الباطنة .. والحياء هنا على وجهين حياء من الخلق وحياء من الحق .. حياء من سوء الخلق الظاهر الذي تعرفه الناس وحياء من العورة الباطنة التي لا يراها الا الله .. ومن هنا كانت الخرقتين الرمزيتين .

اما النحر والذبح فهو في حقيقته ذبح للنفس ورغباتها وشهواتها وأهوائها .. وقد افتدى الله النفس بذبح الضحية .. فتضحى ببعض مالك رمزا لقتل شهواتك وهوى نفسك .

اما تقبيل الحجر الاسود فهو تزود من غائب فانت تضع شفيتك حيث وضع النبي شفتيه .
والجكايات عن اصل الحجر الاسود والكعبة كثيرة .. فهي بيت العبادة الاول اتخذه آدم وارشده جبريل الى مكانه .. وحينما غرقت الكعبة في الطوفان استودع الله الحجر في جبل ابي قبيس .. وظل الانبياء يطوفون بمكان الكعبة حتى جاء ابراهيم فأقام قواعدها واعاد جبريل الحجر الى مكانه .

وفي عام مولد النبي كانت غزوة الفيل المعروفة وهدم الكعبة كما انه في عام ٣١٧ هجرية هجم ابو طاهر القرمطي

على مكة وقتل وسبى ثم اقتلع الحجر الاسود وحمله معه الى الاحساء .. وقد تبرأ عبد الله المهدي من فعل ابي طاهر ومن اخذه الحجر الاسود وقتله الحجيج فبعث اليه برد الحجر الاسود ولكنه لم يستجب وبقي الحجر ٢٢ سنة ثم نقل الى الكوفة عام ٣٣٩ هجرية ومنها اعيد الى مكانه في البيت .

ويرد بعض المؤرخين اقتلاع القرامطة للحجر الاسود الى محاولتهم ابطال الحج وهدم الاسلام واظهار عبادة النار ويرى اخرون ان الصراع كان سياسيا بحثا وكان المقصود منه محاربة عقيدة اهل السنة ..

فالكعبة لم تسلم اذن من التخريب والهدم والسلب والنهب ... وعبر التاريخ لم يبق فيها حجر على حجر .
لم يبق فيها الا مكانها .
فهي رمز

ولا يصح تقديسها الا رمزا
وشأنها شأن القرآن حينما يقول عنه الله
«لا يمسه الا المطهرون»

فلا يكون المقصود هنا «المصحف وورقه» .. لان المصحف وورقه مادة شأنها شأن كل المواد يجري عليها

المطرب والفساد .. فاذا جرى البلى والفساد على الورق
لا يكون في ذلك مهانة للدين .

وانما المراد هنا المعنى العميق .. « لا يمسه الا
المطهرون » .. اي لا يمس معاني القرآن ولا يفهم اسرار
الا النفوس المطهرة من اهوائها .

وبالمثل تقوم الكعبة كرمز .. لا كحجارة .

والحج والطواف والذبح والرجم وعرفه وموز .

فاذا تجاوز تقديس البقعة الى تقديس الحجر خرج
المؤمن عن ايمانه وسقط الى حضيض الشرك والوثنية وما
هكذا مراد الله بالكعبة .

والذي يسأل لماذا يكون الطواف سبعة اشواط
والرجم سبع حصوات .. نقول له ولماذا لا يكتمل نمو
الجنين الا في الشهر السابع ولماذا يولد ميتا اذا نزل قبل
السابع ولماذا تكتمل النوتة الموسيقية بالدرجة السابعة
فلا تكون النوتة الاعلى بعد ذلك الا جوابا للنوتة الاولى .

انه سر في بناء الكون المادي والروحي انه سباعي
التكوين وان السبعة هي درجة الاستواء والتمام .

والنفس البشرية بالمثل سبع درجات . اسفلها النفس
الامارة ثم تليها النفس اللوامة ثم النفس الملهمة ثم النفس

المطمئنة ثم النفس الراضية ثم النفس المرضية ثم النفس
الكاملة .

ولهذا يكون الطواف سبعة اشواط والرجم سبع
حصوات والسعي سبع مرات عن الانفس السبع .
والسعي بين الصفا والمروة هو رمز لتاريخ الوجود بين
المحو والاثبات .

في البداية كان الصفا .

كان الله ولا شيء معه .. الخواء والمحو المطلق .

كان الازل وما سبق لنا في علم الله قبل ان نوجد
وقبل ان يخلق الزمان .

ثم كانت المروة .. حينما نبع الماء .. وخلق الزمان
وتدفق الوجود وقامت الحياة .

وكان فضل الله في الابد كما سبق فضله من قبل في
الازل .

والسعي بين الصفا والمروة هو شهود الفضل في
الحالين .

وهو الانتقال من الحقيقة الى الشريعة للجمع بينهما
في القلب .

من الكلمة التي سبقت في الازل .

الى التكليف القائم في الزمان .
والسعي رمز لاجابة الامر والتلبية .
والصوفي فيما يرمي من حصوات على ابليس ..
يرمي عيوب نفسه ويرمي الدنيا .. ويرمي الاسباب ..
وهو حينما يذبح الضحية يذبح نفسه الموافقة
للشيطان .

وحينما يخلق رأسه يخلق الكبرياء عن عقله .
فهو يعلم ان الكنز الحقيقي الذي يستحق ان يجهد في
تحصيله هو كنز البراءة .. البراءة من الحول والطول
والقوة والفرور والكبرياء .. لا حول ولا قوة الا بالله ..
هي الكنز ..

لا وجود حق سواه ..

والكل هالك ..

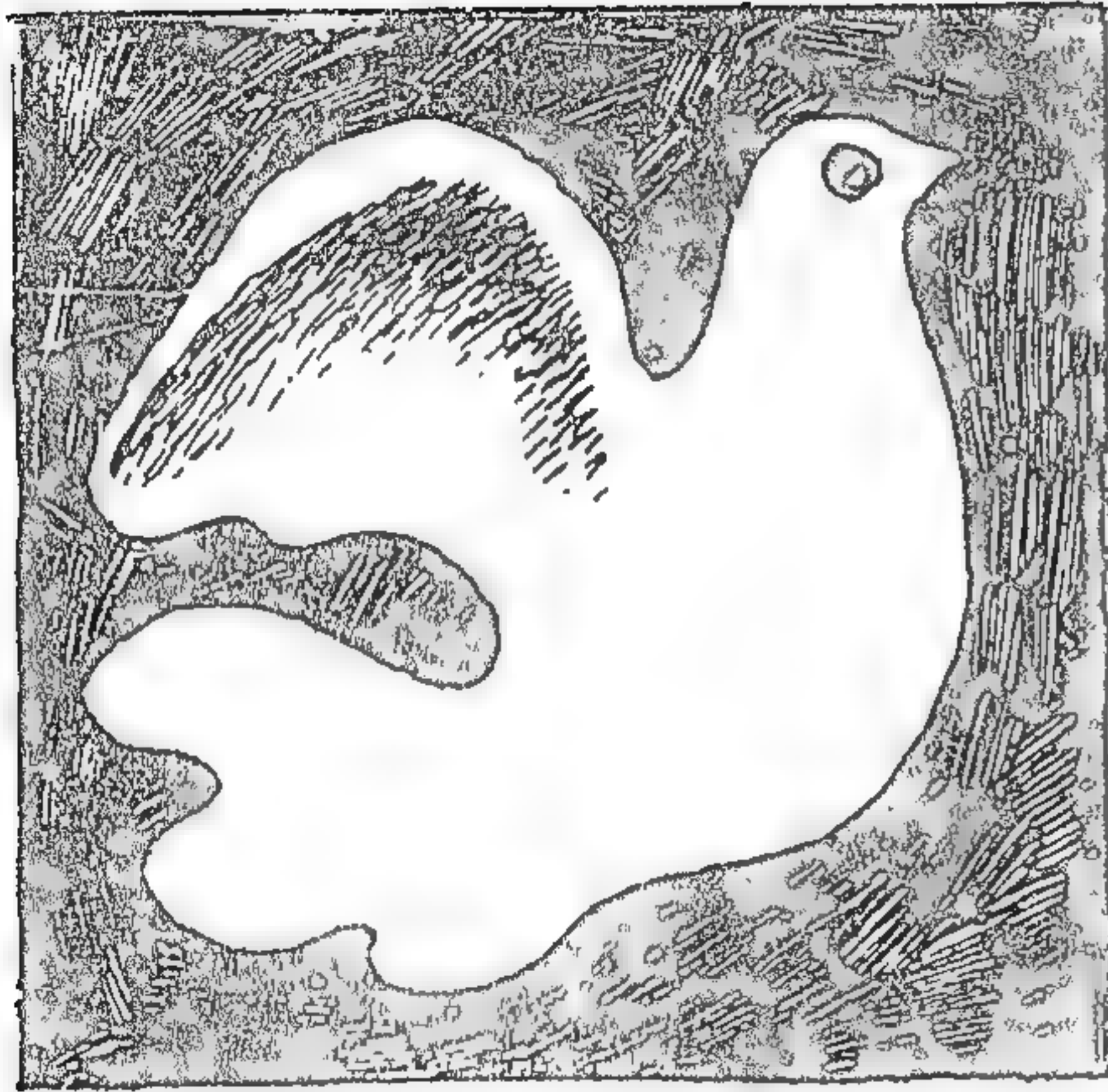
فيلزم التواضع بل الفناء في الحضرة الالهية .
واذكر فيما اذكر الان ما كانوا يحكون لي عن جدي
وانا صغير وكيف انه حج سبع حجبات وكان الحج في ذلك
الزمن البعيد منذ مائة سنة على الاقدام وعلى الابل وبالبحر
في سفن شرعية بدائية وفي الحجة السابعة يروي الجد
اهوالا ... عاصفة هبت على الحجيج وهم في عرض

البحر واقتلعت الشراع وحطمت الدفة والكل يصرخ ويتضرع
ويستنجد والمركب تدور في الدوامة كالفلك الدوار والموج
المتلاطم يلف الجميع .

ثم يروي كيف تفسخت المركب الى الواح ابتلعتها
اللجة في لحظات وكيف افاق ليجد نفسه سابحا على
طوف خشبي وامامه جراب الزاد وكانوا يسمونه في تلك
الايام «الذهاب» .. كل حاج كان يطلع الى الحج ومعه
ذهابه الخاص وبه ما يلزم من المؤونة والادوات والثياب .
وكان امرا عجيبا ان يهدأ البحر وتقلع الرياح وتنتهي
العاصفة وينجو وحده ومعه ذهابه بهذه الطريقة التي
تبدو كالمعجزة .

وتدمع عينا الجد ويومض بصره الكليل وكأنما يرى
شريطا سريعا من اللقطات الرهيبة .. ويروي كيف قضى
ليلتين في البحر ثم انتشله مركب شرعي آخر قاصدا الى
الحج .. وكيف اتم حجته السابعة ثم عاد بسلام .

ويروي كيف كان الموت يترصد الحاج في كل خطوة
في البحر وفي البر وفي الصحاري .. وبين الحر المحرق
والرمال والعطش اذا ضل طريقه او ماتت راحلته ..
وعلى ايدي قطاع الطرق اذا التقى به سوء حظه الى عصابة



مرين عصاباتهم .. او بمرض معد في زمان لم يكن يعرف
شيئا اسمه طب وقائي او يسمع عن لقاح للكوليرا او
التلثيفود .. وكانت الرحلة تطول الى ستة شهور وسبعة
شهور وسنة وكان الخارج اليها مفقودا والمائد مولودا .

وكان يختم قصته مبتسما بفمه الخالي من الاسنان .
- ورغم كل هذه الاهوال فقد حجيت سبع حجرات
ومررنا اموت بينكم في الفراش كما يموت الكسالى من
العجزاء لتعلموا يا اولادي ان كل شيء بامر الله .. وانه لا
البحر يفرق ولا المرض يهلك ولا نار الصحاري تحرق وانما
هو الله وحده الذي يصرف الآجال كيف يشاء .

اذكر الان قصة هذا الجد الطيب وتطوف بدهني تلك
الطصور وانا اضبع قدمي في الطائرة لاصل جده في ساعتين
وفي ساعة ثالثة اكون في الحرم اطوف بالكعبة ثم في
الساعة التالية اكون صاعدا الى عرفات وبعد غروب الشمس
اكون نازلا الى منى لرمي الجمرات ثم طواف الافاضة ثم
تنتهي كل المناسك في امان .

واتذكر السرب الطويل من خمسين الف عربة تحمل
نصف مليون حاج وتصعد كلها في وقت واحد في عدة
طريق دائرية حديثة الرصف .. وكل شيء يتم في سرعة

ونظام ودون حادث وقد تناثرت وحدات الكشافة لتنظيم
المرور .. وعلى الجبل تراصت مستشفيات كاملة التجهيز
لعلاج وعزل اي حالة اشتباه .. وطوال ساعات الليل
والنهار تطوف الرشاشات لقتل الذباب والبعوض في اماكن
توالده . وتطوف فرق اخرى لجمع القمامة وحرقها .
وبين مكة والمدينة يمتد اوتوستراد املس كالحرير
تنزلق عليه العربات في نعومة وينام الراكب في حضان
كرسيه في استرخاء لذيد .
ما ابعد اليوم من الامس .
وما اكثر ما نتقلب فيه من النعم .
وكلما احاطتنا النعمة ازددنا لله هجرانا .
اين ايمان اليوم .. من ايمان النبي العظيم منذ الف
واربعمائة سنة وهو خارج في غزوة تبوك على رأس اثني
عشر الفا من المسلمين في شهور القيظ المحرق ليخوض
في رياح السموم والحرور القاتلة سبع ليال يتهدده العطش
في كل خطوة .. وقد ترك من خلفه الامان والظل الظليل
والراحة في خيام زوجاته .. ليلقى الله وليبلغ الرسالة ..
وليحارب من ؟! .. الروم .. الذين احتشدوا على الحدود
بمئات الالوف .

واليوم ترتفع حرارة الجو بضع درجات فندير جهاز
التكييف ونفلق ابواب غرفنا لا نبرحها لان الخروج الى
الشارع مجازفة غير مأمونة .
ما ابعد اليوم من الامس حقا .
وما افدح ما خسرنا حينما خسرنا الايمان .

يحكون لنا عن الحلاج الذي كان يقف في شوارع
بغداد هاتفا .. انا الله .. سبحاني ما اعظم شأنني .. يا
خلق الله ما في العجبة غير الله .. وكيف تصيد له قضاته
هذه الكلمات وامثالها وحكموا عليه بالاعدام بتهمة الكفر .
ويعتذر الصوفية عن الرجل فيقولون ان مثل هذا
الكلام لا يصح ان يؤخذ على علته .. فالحلاج صوفي من
اهل المواجد والاحوال ..

وهو لم يكن في طوره حينما كان ينطق الكلمات وانما
كان في حالة من الوجد والحب والوله ، وقد بلغ به حبه
لله الى ذروة فناء في محبوبه فما عاد يدرك لنفسه وجودا
وغاب تماما عن نفسه فأصبح الله هو الذي يتكلم على
لسانه فيقول انا الله ..

ويسمون هذه اللحظة لحظة الشهود ... او التجلي
حينما يتجلي الله على قلب عبده فينسحق العبد ويفنى

ويصبح عدما ويصبح الحضور لله ولا سواء والكلمة لله ولا سواء .

وشأنه في ذلك شأن المجذوب المسلوب اللب والفؤاد والعقل ... والصوفي كذلك يجذب الى الحضرة الجلالية جذبا لا حيلة له فيه فيرفع الى حال من الرؤية والى جرعة من الحق اكبر من طاقته فتفقد العقل والقدرة وتذروه ترابا مثل الجبل الذي اندك دكا وموسى الذي خر صعقا . وتمتلئ كتب الصوفية بمثل هذه المواقف وبمثل هذه المواجد والحالات وتستفيض في وصفها .. ولا نملك حيالها الا التحفظ الشديد .

ورأيي ان هذا الجانب من الصوفية هو واد كثير المهالك .. ومزلق خطر .

واخطر ما في هذا المزلق انه يمكن ان يجر الصوفي الى فكرة وحدة الوجود .. وهي الفكرة التي تقوم عليها الفلسفة الهندية والتي تقول بوحدة الخالق والمخلوق وان الله حال في مخلوقاته متحد بهم .. وانه هو وهم واحد .. فهو القاتل والقَتِيل والسكين وهو الذي خلقهم معا في وقت واحد .. وفي جراب واحد .. بمثل ما يقول الحلاج .. ان الله في الجبة .. وهو كلام اذا مددناه على استقامته

بالطريقة الفلسفية ينتهي بنا الى نفي وجود الله لا اثباته .. فكل ما نعترف به حينئذ هو مجموع ما نرى من وجود نعتقد ان هو في جملته هو الله .. وهي عبارة مهدبة للايمان بالوجود الموجود ونفي ما عداه اي نفي الله في ذات الوقت .. ولهذا تلتقي الفلسفة البوذية والهندية مع الفكر المادي .

واستبعد ان يكون بوذا لو انه كان نبيا بحق ان يكون قد قال هذا الكلام .. وربما يكون حاله كحال المسيح الذي شوه اليهود تعاليمه وزيفوا اقواله من بعده وادعوا انه قال انا الرب .. انا الله .

ولهذا يحرص الصوفية كلما ذكر الحلاج على توضيح اقواله بهذه المذكرة التفسيرية التي يقولون فيها انه كان غائبا عن نفسه حينما كان يتكلم .

واهم من هذه المذكرة التفسيرية في نظري ان نحاول فهم الله كما قدم لنا نفسه في القرآن . والله في القرآن هو المتعالي .

هو متعال على خلقه كما يتعالى الصانع على صنعته وكما يتعالى الفاعل على المفعول .. وهو ليس في « وحدة وجود » مع صنعته وليس متحدا بها ولا حالا فيها .. كما

تصنع انت الموتور فلا تكون متحدا به ولا حالا فيه ..
وانما تكون متعاليا عليه .. لو كان للموتور لسان ولو انه
تكلم وقال لن اتحرك .. فانك تقول له بل تتحرك وتوصل
اسلاكه بالكهرباء فتديره رغم انفه .. فانت متعال عليه ..
وانت القاهر بالنسبة له .

وبالمثل الله في القرآن هو القاهر فوق عباده .
و «فوق» هنا لا تعني المكان وانما تعني فوقية في
الرتبة .. لان الله متعال على المكان ايضا .. وهو ايضا
متعال على الزمان فهو لا يتحيز فسي حيز ولا هو يتزمن
بفترة .. ولهذا كان الاول والآخر والظاهر والباطن ..
الاول قبل الزمان وقبل الوجود لانه خالق للزمان والوجود ..
والآخر بعد انتهاء الزمان وانتهاء الوجود ، لانه الباقي بعد
الكل . وهو الظاهر . وليس معنى ذلك انه العلاج او غير
العلاج وانما المقصود بكونه «الظاهر والباطن» .. ان الظاهر
هو فعله .. والباطن ذاته .. وكل ما نرى ويظهر لنا ويجري
علينا هي بعض افعاله .. فكلمة الظاهر هنا مقصود بها
وجه الشمول .. الظاهر اليوم وبالامس وعبر القرون
الماضية والقرون الآتية كل ذلك فعله . ثم من قبل ذلك هو
كائن فهو الاول ومن بعد ذلك يكون فهو الآخر .

والاتحاد بالله لا يقول به الاسلام لانه غير ممكن ..
وانما هو يقول بالقرب والبعد والجمع والفرق .. فهناك
المقربون مثل الانبياء والشهداء والصديقين .. وهناك
المبعدون مثل الكفار .

والصالحون مجموعون على الله .
والجرمون مفرقون عنه .
وهذا هو الجمع والفرق .

اما الاتحاد والوحدة والحلول فهي امور يتنزه عنها
الله .. فهو العلي المتعالي عن هذه الصفات .
والله في القرآن هو الاحد .. والفرق بين الاحد
والواحد ان الاحد لا ينقسم ولا يتجزأ وليس له بعض
او نصف .

ولهذا فهو «السلام» لانه لا ينقسم على نفسه ...
ولانه يجمع الاضداد في تكامل لا تناقض فيه .. فهو المعز
المذل الباسط القابض الرافع الخافض النافع الضار ..
هو جامع هذه الاضداد دون تناقض ودون تضارع فيجمع
في ذاته النفع والضرر والجبروت والرحمة في وحدة سلام
لا تقبل القسمة .. وهي ذروة في الكمال لا تصل اليها
افهامنا .

وقد نفهم نحن هذه الوحدة الداخلية بعض الشيء
حينما نتوحد نحن ايضا في داخلنا .. فتكون نية الواحد
منا مثل قوله مثل فعله فيكون واحدا قلبا وعقلا وعاطفة
وعملا .. وهو ما نصير اليه بالتوحيد وعبادة الواحد
والتزام الطريق .

والله في القرآن هو الحي وما سواه هالك او صائر
الى هلاك .. واذا كنا نحيا اليوم فانما نحيا به بمدده
فهو الحي الذي به الحياة فاذا انقطع مدده لم يبق لنا
من وجودنا الا العدم .

وهذا معنى كلمة «قيوم» اي انه يقيمنا .. واننا به
نقوم كما ان الافلاك والنجوم ممسوكه بقبضته جارية
بقوانينه فهو قيومها .. وهو قيوم كل شيء .. قيوم هذه
الحياة ، وقيوم الحياة الاخرى حينما يقيمنا من الموت
فلا يمكن ان يقوم اي شيء او يوجد الا بفضلله .

وهو البصير بلا بصر والسميع بلا سمع والمتكلم بلا
كلام وبلا حروف .. فالله لا يبصر بعين كما نبصر نحن ولا
يسمع باذن ولا يتكلم بلسان .. وانما الله يبصر بذاته
ويسمع بذاته ويتكلم بذاته بلا ادوات وبلا حروف وبلا
لغة .. وكلمة الله روح وارادة ومشیئة يقول لنا الله في

القرآن ان المسيح «كلمته القاها الى مريم وروح منه»
فالمسيح كلمته كما ان آدم كلمته .

وهو الخالق البارئ المصور .

الخالق في الملكوت حيث خلقنا ارواحا بكلماته وعلمه .
والبارئ حينما اعطى تلك الارواح رخصة الوجود
كما يعطي الملك براءة الوسام فيصبح للمواطن الحق في ان
يلبسه والرخصة في حمله .. وهو رمز لاطلاق تلك
الارواح من قبضته .

والمصور حينما انزل تلك الارواح الى الدنيا بامر
وصور لها قوالبها في الارحام .. «يصوركم في الارحام
كيف يشاء» .
وهو النور .

ونور الله هو ما يقذف في الضمائر والسرائر وهو نور
الفطرة والبديهة ونور العقل الذي يكشف به الحق من
الباطل .. ولا يقصد به نور الشمس او الكهرباء او النجوم
فكل تلك الانوار ظواهر مخلوقة مصيرها الى الانطفاء .

وهو الصمد من الصمود والثبات والاستقرار حيث
كل شيء من حوله يضطرب ويتغير ، وهو الصمد الذي
لا يتغير ولا يضطرب كالمرساة وسط البحر يموج من حولها

البحر ويضطرب ولا ملاذ للسفن من هذا الاضطراب الا اللجوء الى المرساة واللواذ بها ، وهو لهذا الصمد الذي يصمد اليه ويلجأ اليه من دوامة الخيالات والاهام والاضاليل التي اسمها الدنيا .

والصمد بمعنى المصمت المتدامج .. فكل شيء مخلخل له جوف الا هو .. والمادة كلها مخلخلة والذرة مخلخلة وجميع مكونات الذرة مخلخلة لانها تركيبات من اجزاء مآلها العطب والفساد والانحلال .. ما غدا هو .. الجوهر الفرد .. الذي لا يتألف من اجزاء ولا عناصر ، المصمت بلا جوف .. الاحد الصمد .

وهو الرحمن من مطلق الرحمة .. فيرحم بالعباد وبالعقاب كما تضرب ابنك المذنب رحمة له وتأديبا . وهو الرحيم بالمعنى الخاص والخالص للرحمة فيمنحها خالصة لاجبابه .

وهو اللطيف اي الخفي الشديد الخفاء في اسبابه فهو يفعل فيخيل لك انك انت الذي تفعل ويخترع فيخيل لك انك انت الذي تخترع لانه احال عليك الاسباب والهمك القوانين واعطاك المواد الخام واعطاك العقل المبتكر .. اعطاك

البحر والخشب والهمك قوانين الطفو فاخترعت السفينة وهي في الحقيقة من خلقه .

«وله الجواري المنشآت في البحر كالاعلام»
- ٢٤ - الرحمن .

«وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره»
- ٣٢ - ابراهيم .

ولكنه يعمل من وراء حجاب الاسباب فيخيل اليك انك انت الذي تعمل .

«وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى» .
وهو يفعل ذلك بلطف وخفاء واستسرار لا يدرك .
وبين كونك مخيرا وكونك مسيرا خيط دقيق كالشعرة لا يبين .

فأنت مخير في النية والضمير والسريرة .. ثم هو في الخارج يجري عليك الاسباب والمقادير لتخرج ما تكتمه وتلبس بحقيقتك .

«والله مخرج ما كنتم تكتُمون» - ٧٢ - البقرة .
وهذا غاية اللطف والخفاء .

في هذا البحر المليء بالخفايا يخوض الصوفية ولهذا تكثر بينهم المهالك ويضل منهم الكثير ويختلط على الواحد

منهم الحال في لحظة الوجد والجذب فيقول «انا الله» .
ولهذا نصح بعض الأئمة من المسلمين بتجنب طرق
الصوفية . . وقالوا في ذلك ان النبي الذي امرنا جميعا
بان نتخذ منه اسوة لم يعرف عنه حال الجذب ولا كان من
اهل المواجيد ولم يذكر لنا التاريخ انه راح مرة في غيبوبة
الحب هذه ولا كذلك عيسى ولا ابراهيم وهو الخليل الذي
كان يكلمه الله كما يكلم الخليل خليله . . وحينما خر
موسى صعبا عندما طلب رؤية الله كان ذلك من الله تحذيرا
وعقابا لان موسى طلب ما لا يجوز طلبه .

وهؤلاء هم الانبياء اهل القدوة والاسوة والاتباع .
والمؤمن الصالح في الاسلام هو رجل عامل وليس رجلا
معتزلا متأملا في الخلوات . . ولو كان ابو بكر وعمر
صوفيين من طراز الحلاج لما قام للاسلام بنيان ولما ارتفعت
له اركان شداد .

ويرد الغزالي على ذلك فيقول ان الصوفي بالفعل ليس
هو النموذج العام الذي يطلب من المسلم اتباعه . . وعامة
المسلمين غير مندوبين الى الصوفية . . والصوفية في
النهاية هم خاصة الخاصة وقلّة القلة من القادرين المؤهلين
على الجهاد الاكبر بترويض النفس ومخالفة الهوى والسلوك

في بحار الغيوب واستطلاع الاعماق والاسرار . . وقد اراد
الله ان تكون كثرة الناس من اهل الفلة ليشتغلوا بعمارة
الدنيا . . واستصفي القلة وقلّة القلة لنفسه . .

والنبي عاش الصوفية والعزلة في مرحلة غار حراء
التي استمرت اكثر من اربع عشرة سنة . . واقواله
واحاديثه تشهد على الجانب الصوفي في شخصيته .

وبالمثل نجد هذا الجانب الصوفي واضحا في رجل
مثل علي بن ابي طالب .

ونجد عيسى يعتزل الناس في خلوة تأمل مع نفسه
يقضيها في البرية قبل ان يعود فينزل للناس .

ونجد موسى في خلوة الاربعةين يوما ينفذ مشيئة الهية
وشرطا للتأهل والاستعداد ليصل الى اللياقة والصلاحية
الروحية لنزول الألواح عليه .

ان الجانب الصوفي كان دائما جزءا لا يتجزأ من النبوة
وانما اختلف الانبياء عن غيرهم في كمال شخصياتهم
فجمعوا بين الفكر والعمل . . وبين العزلة عن الناس
والنزول الى الناس .

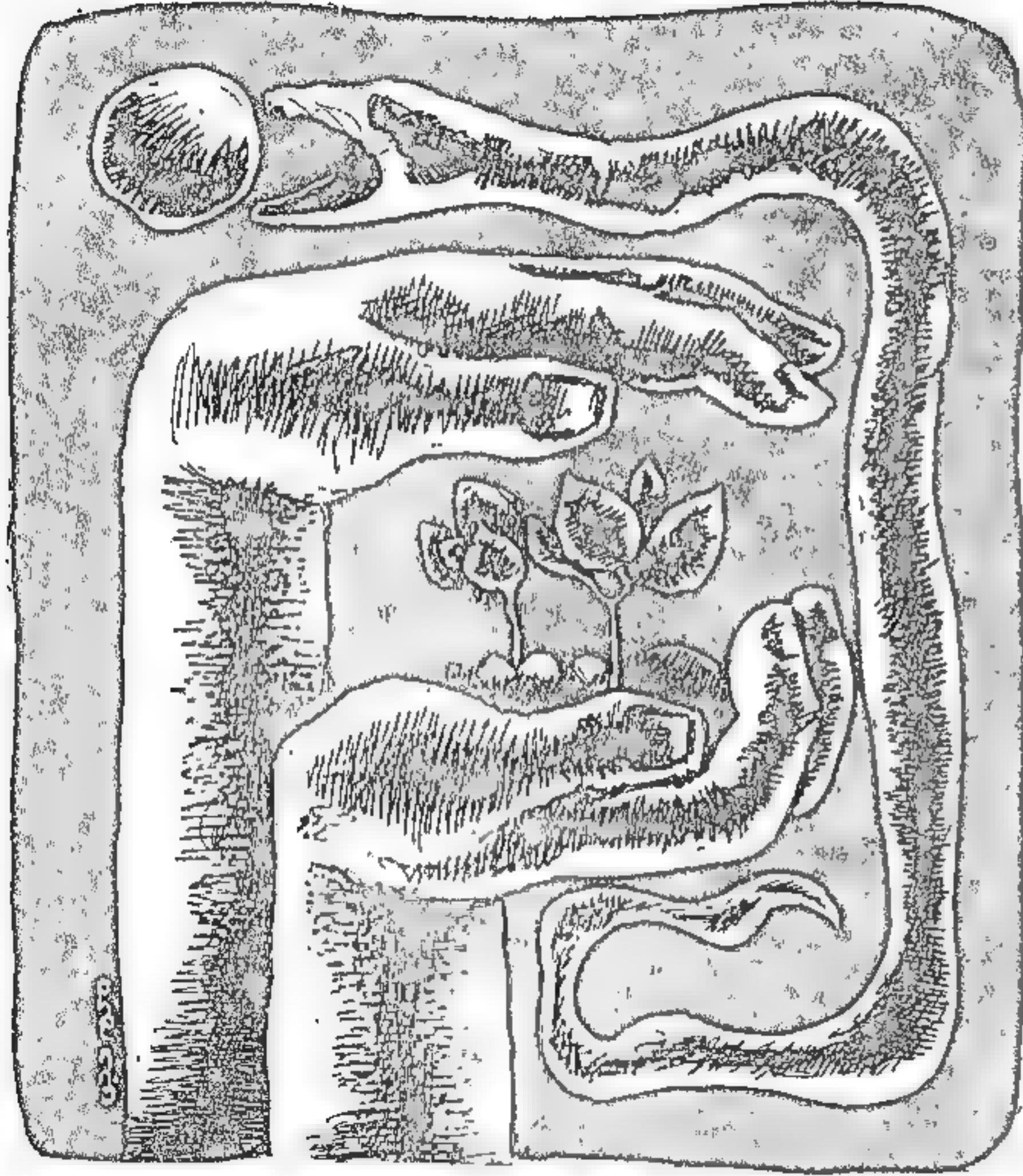
وهذا الكمال لا يتيسر للكثيرين . . وانما نجد في
الكثرة طفيان جانب على جانب . . فنجد من تطفئ على

شخصيته خصائص العمل ومن تطفى على شخصيته
خصائص العزلة والتأمل .

ووجود الصوفي المتأمل والكاتب كالفضالي وابن عطاء
الله والجيلي لا يمنع قيام رجل الفعيل والعمل والقيادة
كعمر وابي بكر وخالد بن الوليد .

وانما هو التنوع الضروري والطبيعي للشخصية
الانسانية كما تتنوع بصمات الاصابع .. ولا يحق لنا ان
نصادر قيام نوع ونوجب قيام نوع .. بحجة ان هذا مع
الاسلام وهذا ضده .. فانها تكون مصادرة باطلة حتى
من ناحية العقيدة .. فلم يخل القرآن من اللوحات
الصوفية .. فهو في اكثر من مكان يصف الدنيا بانها لهُو
ولعب وانها حصاد القُرور ويحضنا على الزهد في بريقها ..
وهي نظرة صوفية .

وهو في عالم الشهادة لا يرى مشهودا الا الله وافعاله
ويقول لنا .. « اينما تولوا فثم وجه الله » .. ويأمرنا ان
نشهد بان لا اله الا الله .. وبان لا مشهود بحق سواه ..
ولا موجود بحق سواه .. وهي نظرة صوفية .
ومن اسماء الله انه .. « الحق » .. وما سواه باطل .
وهي نظرة صوفية .



الصوفية اذن في جوهر الدين وليست ابتداعا في الدين .

ويصح ان نسميها درجة تخصص .. يحرص اصحابه على استصفاء الدين من مرتبة الطقوسية الى مرتبة الحب فتكون العبادة عندهم حبا لا طقسا .

وهم يبحثون عن الحقيقة لا لينقضوا بها الشريعة وانما ليؤكدوها ويزيدوها تثبيتا .. والصوفي الحق سلوكه عين الشريعة وان هام قلبه مع الحقيقة .

ومع ذلك يجب ان نعترف ان الصوفي السالك يمكن ان يضل وتختلط عليه الخطى ويكون ضرره اكثر من نفعه والقائلون بان اودية الصوفية هي اودية المهالك .. عندهم بعض الحق .. فالصوفي سالك في بحار الغيب . وهو لهذا معرض لكل الاخطار واهون هذه الاخطار .. الفرق في التيه .. والجذب .. وذهاب العقل .

ولكن الناجي الفائز في هذه المسالك هو في مرتبة الرسل .. وهو الناطق بالدرر المتحدث بالجواهر .

ونجد هذه الدرر والجواهر في تراث الصوفية الذي خلفه لنا الائمة العظام .. ولن نجد الواصل الحق منهم يقول : «انا الله» .. بل يقول : «هو الله» .. فهذه نهاية

المطاف في رحلة الحج في دروب الغيب .

«هو الله»

«هو»

كلمة «هو»

التي لا تعني أكثر من مجرد إشارة الى ما تعجز عنه
جميع الالفاظ والعبارات .. وما لا تحيط به اللغات
«هو»

محض إشارة

ثم تسكت اللسان .. وتجف الاقلام .. وترفع
الصحف .. ثم لا تبقى الا العيان تدمعان بما لا سبيل الى
التعبير عنه .

سبحانه وتعالى عما يصفون .

فهو لا يوصف .. وما وصف نفسه الا تنزلا لتدركه
افهامنا .. وما اطلق على نفسه الاسماء الا تنزلا منه
لندعوه .

ولكنه فوق الاسماء والصفات .. فلا هو روح ولا هو
جسد ولا هو مادة ولا هو صورة ولا هو معنى ولا هو
فكرة ولا هو نفس ولا هو شيء .. ولا هو بمن يحصل في
زمان ولا هو بمن يتحيز في مكان ولا هو بمن يتحد أو

يمتزج أو ينقسم أو يتعدد .. انما هو غير كل هذا .
وهو متعال على كل ما نعرف .

وهو غيب الغيب .

وغاية ما يصل اليه العقل في تصور الله هو ..
البهت .. والحيرة .. والعجز ..
وذروة المعرفة هي العجز عن المعرفة لهذا الامر الذي
يملا القلب ولا يجد له اللسان وصفا ولا تعبيرا .
لا سبيل اليه الا بالاشارة .

ولهذا حفل القرآن بالاشارات .. الم .. ال ..
ح .. ن .. ص .. ق .. وذلك حينما تقطعت انفاس
العبارات عن بلوغ مراميها .. فلم تبق الا الايماء ..
والحروف المرتجفة التي تشير الى الابهام .

«هو»

نهاية الرحلة التي يحج فيها العقل الى الحقيقة .
وهو اذ يبلغها .. لا يبقى له الا ان يطوف عريان العقل
خاشع القلب .. مسلم الحواس .. وقد اسلم الفعل
للفاعل .. واسلمت الارادة للمريد .. واسلمت القوة
للقوي .. واسلم الحول لمن لا حول ولا قوة الا به .

الفهرس

صفحة

٧	على جبل عرفات
٢٧	على قبر سيد البشر
٤٧	الهجرة الى بيت الله
٦٩	الرجل الذي قال انا الله

خاص بصفحة

DR : MOSTAFA MAHMOUD